أولاً:
السعوديون.. الوطن والتميُّز..

الوطن.. المبدأ.. الثبات

«سبق للعرب أن قادوا العالم في مرحلتين طويلتين من مراحل التقدم الإنساني طوال ألفي سنة على الأقل قبل أيام اليونان، ثم في العصور الوسطى مدة أربعة قرون تقريباً، وليس ثمة ما يمنع هذه الشعوب من أن تقود العالم ثانية في المستقبل القريب أو البعيد».

هذه عبارة أطلقها المستشرق الأمريكي «جورج سارتون ١٨٨٤ ـ ١٩٥٦ م» أستاذ تاريخ العلوم بجامعتي واشنطن ثم هارفارد ورئيس الاتحاد الدولي لتاريخ العلوم الأمريكية وكانت قيادة العرب (المسلمين) للعالم في المرحلة الثانية لأكثر من أربعة قرون، ولعل سارتون يقصد الجنس العربي قبل انتقال الخلافة الإسلامية من العرب إلى المسلمين غير العرب إبان أواخر الخلافة العباسية.

والقصد من إيراد العبارة هذه هو التركيز على قول هذا المستشرق البلجيكي الأصل، أنه ليس ثمة ما يمنع هذه الشعوب من أن تقود العالم ثانية في المستقبل القريب أو البعيد.

وقد مرت جزيرة العرب بفترة من الزمن ذاب فيها الوازع الديني، وبعدت الشقة بين الناس والدين، فعمت الأمية وسيطر الجهل، وبدأت رياح الجاهلية الأولى تهب على المجتمع العربي في الجزيرة العربية، وفي

هذه الأثناء يظهر بطل من أبطال الدعوة الإسلامية سنة ١١١٥ هـ/ ١٧٠٣م «محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن سليمان بن علي التميمي» وينشأ في بيت علم، وتتفتَّق قربحته العلمية ويرى جهلاً شبه مطبق من حوله، يرى عبادة القبور والتبرك باالشجر والحجر، ويرى تفككا في الجزيرة العربية تقوده العصبيات القبلية، تمزق المجتمع وتفتته، فيصبر العالم حتى يُكوِّن القاعدة الصلبة من العلم الشرعي، ويستطيع معه أن يجابه هذه الضلالات وأن يعمل على عودة الناس إلى الثبات على المبدأ، فيبحث عن من يعينه بالسلطان فيجد محمد بن سعود الإمام الأمير في الدرعية، فيتفقان سنة ١١٨٥ هـ/ ١٧٤٠ م على التعاون حتى النهاية للعودة بالمجتمع إلى الإسلام الصحيح، ولقيادة هذا المجتمع قيادة تكفل القضاء على كل ما من شأنه زعزعة الثبات على المبدأ. فحمى الأميرُ الإمامُ الدعوةَ وإمام الدعوة ونصرها بإيمانه وسيفه وجاهد في سبيلها واحداً وعشرين عاماً كانت حصيلتها قيام «الدولة السعودية الأولى».

ونمر بالزمان والأحداث سريعاً إلى نهاية القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي حينما تنجب الرياض عبقرية الجزيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فصيل آل سعود المولود بقصر الرياض في ٢٠ ذي الحجة من سنة ١٢٩٧ هـ لتقوم على أكتاف هذا الصقر مهمة توحيد الجزيرة العربية تحت راية واحدة، هي امتداد لذلكم التعاون الذي بدأه الإمام الأمير محمد بن سعود مع الإمام الداعية محمد بن عبد الوهاب، وهي تعاضد بين القاعدة والقيادة تجسد في قوله غفر الله له «إن خدمة الشعب واجبة علينا، لهذا فنحن نخدمه بعيوننا وقلوبنا، ونرى أن من لا يخدم شعبه ويخلص له فهو ناقص، شعبنا العرب، فنحن من العرب وإليهم، وخدمة الإسلام والعرب واجبة علينا بصفة عامة، وخدمة شعبنا وامتنا واجبة علينا بصفة خاصة، ولا بد أنكم سمعتم أننا ألزمنا ولاة

الأمور بالنظر في شؤون الرعية، وجعلناها أمانة في أعناقهم، فعليهم أن يقوموا بالواجب والنصح للشعب وأن يجتهدوا في تخليص ما عليهم من حقوق ومالهم من واجبات» وفي قوله رحمه الله: «إنني أفخر بكل من يخدم الإسلام والمسلمين واعتز بهم، بل أخدمهم وأساعدهم وأؤيدهم، وإنني أمقت من يحاول الدس على الدين وعلى المسلمين ولو كان من أسمى الناس مقاماً وأعلاهم مكانة».

وفي قوله عليه رحمة الله: «إنني خادم هذه البلادالعربية لنصرة هذا الدين، وخادم للرعية. إن الملك لله وحده، وما نحن إلا خدم لرعايانا، فإذا لم ننصف ضعيفهم ونأخذ على يد ظالمهم وننصح لهم ونسهر على مصالحهم فنكون قد خنا الأمانة المودعة إلينا». ولذا كانت أحلى أيامه وأجلها هي تلكم الأيام التي قضاها في الصول والجول يوحد الجزيرة العربية ويخضعها لسلطان الله. وكان يذكرها بالارتياح التام. سقى الله أيام توحيد الجزيرة على نهج السلف الصالح رحمهم الله جميعاً.

وهو الذي علم أولاده من بعده، وشعبه من أولاده، أن تسبق أعمالهم أقوالهم وحذر من العكس: «أنا لست من رجال القول الذين يرمون باللفظ من غير حساب، فأنا رجلٌ عملي إذا قلت فعلت. وعيب عليَّ في ديني وشرفي أن أقول قولاً لا أتبعه بالعمل لأن هذا شيء ما اعتدت عليه ولا أحب أن أتعوده أبداً».

وهو الذي قاد أمة، وكان مضرب المثل في العزم والإصرار والتفاني في خدمة أمته، فنشر العدل والأمان وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأيقن أن العدل أساس الملك، واستطاع توطين البادية وتحضيرها، وعمم أحكام الشرع، وأقام الحدود فتمكن من ضبط الأمور وبناء الدولة بتكافل يدعو إلى الإعجاب، وهذا رأي المؤرخين فيه ولم يكن رأيا انفرد به كاتب أو متابع لمسيرة الملك عبد العزيز وسيرته، وقال

الجنرال «كليتون» يخاطب الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ: «إن هذا الملك الواسع لم يؤسس إلا بعد مئات السنين، أما أنت ففي ثلاثين سنة أسست ملكاً واسعاً».

ولا يزال الخلف يسير على نهج السلف. فقد تخرج على مدرسته وكان تحت رعايته، فما هو إلا امتداد لتلكم المدرسة التي قامت على خدمة الإسلام والمسلمين، ورعاية الشعب والسهر على مصالحه وجلبه إلى الحضارة وجلب الحضارة إليه. ورجل مثل عبد العزيز لا بد أن يخلف رجالاً يحيون ذكراه ويسقون الزرعة التي غرسها بجهده وقدم لها حياته وطاقاته كلها، ولا تفتأ هذه الزرعة تنمو وتنمو، كل يسهم في سقيها ورعايتها وسلامة تربتها ونزع ما يتطفل حولها من نبت يضرها أو يعرقل نموها.

لقد أقام عبد العزيز هذه البلاد على «فلسفة» أثبتت أنها قابلة للتطبيق حتى في الزمان الذي عقب هذه الفلسفة، فكان لم يرد النافع من وسائل النهضة والحضارة، وكان من سعة الأفق بحيث يعمد إلى إيضاح نفع هذه المخترعات والتطورات إلى فئة من أبناء شعبه الذين ترددوا في استقدامها وفي استخدامها، وتمتد هذه الحنكة لترقى بالبلاد ـ اليوم ـ إلى مصاف البلاد الراقية، وتنزع عنها مسميات أطلقها عليها من لا يريدون لها النهوض كالدولة النامية أو الدولة الموسومة بأنها من دول العالم الثالث أو دول الجنوب. هذا في الوقت الذي تصر فيه البلاد ويؤكد فيه قادتها عدم تعارض المدنية والتنمية والنهوض مع التمسك بشرع الله في شتى صنوف التعامل من الحكم بما أنزل الله على مستوى الحاكم وعلى مستوى الفرد في نفسه وفي أهله وفي مجتمعه. الأمر الذي أثار الإعجاب وجعل هذه البلاد مضرب المثل.

لقد قامت هذه البلاد على مبدأ وثبتت عليه وتصر على الثبات على

المبدأ. وذلكم سر من أسرار نجاح السياسة السعودية في الداخل والخارج، ونحن في الأول من الميزان، الثالث والعشرين من أيلول/ سبتمبر نتذكر تلكم الجهود التي أقامت دولة وأنشأت أمة وأثرت في العالم كله، ونصر على خدمتها والسعي إلى رفعتها بأنفسنا وأموالنا وما أوتيناه من علم وحكمة، وأن نحافظ على أمنها واستقراها، نرد عنها كيد الكائدين، ونقف في وجه أولئكم الذين يريدون تعكير صفوها وإحداث الخلل في هذا التلاحم بين القيادة والأمة، يقودنا في هذا حكم الله تعالى في كتاب الله الكريم وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

ونحن نتذكر تلكم الجهود في حياتنا اليومية، في العمل وفي المدرسة وفي المحل وفي البيت، فيأتي تذكرنا لها سامياً على التعلق بمجرد تراب الأرض أو حدود البلاد. فقد تخطت القيادة الحكيمة حدود البلاد، ونشرت الخير في كل مكان، إذ لا توجد دولة في العالم تتبوأ مكانة روحية خاصة مثل المملكة العربية السعودية، فالأفئدة التي تتوجه بدعائها وصلواتها إلى مكة المكرمة خمس مرات في اليوم لا تقل عن (مليار) نسمة موزعين في جميع أنحاء العالم. ولا شك أن توجه مثل هذه الأعداد الهائلة إلى مكة المكرمة يعطي المملكة العربية السعودية ثقل المسؤولية، وإزاء ذلك فإن هذه المسؤولية بما تفرضه من واجبات تحتم على خادم الأماكن المقدسة أن يكون حارساً وقائداً ورمزاً لوحدة المسلمين وتطلعاتهم ومدافعاً عن عقيدتهم ومقدساتهم.

وفق الله حماة البلاد والمدافعين عن مقدسات المسلمين في الداخل والخارج وأعانهم على المهمات التي أنيطت بهم، وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة، العدد ٧١٠٢

الاثنين ٦ رمضان ١٤١٢ هـ/ ٩ مارس ١٩٩٢ م

الوطن.. الأمن.. والحضارة!

مرت على البلاد وأهل البلاد يوم الأربعاء الماضي الثلاثين من المحرم ١٤٠٨ هـ، الأول من الميزان ذكرى توحيد هذه البلاد تحت راية التوحيد التي كانت ولا تزال بفضل من الله السبب المباشر في الخير والرخاء الذي تعيشه البلاد وينعم به أهلها.

الوطن أيها الأعزاء ليس التراب وما فوق التراب وما تحت التراب. الوطن أيها الأعزاء هو من هم فوق التراب ومن هم تحت التراب. الوطن برجاله، وقد قيض الله لهذه البلاد الرجال الذين عرفوا كيف يديرون البلاد، وكيف يصلون إلى الرجال يعينونهم على إدارة البلاد. والوطن أن ترسم الخطط التنموية التي تركز على الرجال. والوطن أن يبحث المرء هنا عن يمينه وشماله فيجد كل شيء بين يديه. ويخرج المرء خارج الوطن ليس بعيداً عنه فيدرك النعمة التي هو فيها حينما يبحث عن أبسط الأمور من مستلزمات العيش فلا يجدها إلا بشق الأنفس. ذلكم أيها الأعزاء جزء من الأمن. فالأمن لا يقتصر على درء الجريمة والوقوف بكل ثقل في وجهها، ولكنه يشمل الأمن في الغذاء والأمن في الصحة والأمن في التعليم والأمن في المرور من خلال الطرق التي انتشرت. الأمن في كل شيء. والأمن في أن يرى المرء رجال الأمن يمرون به فيشعر أنه

بحاجة إلى أن يقول لهم شيئاً يعبر به لهم عن تقديره لجهودهم، ولكنهم لا يحتاجون إلى ذلكم التعبير، إذ تكفيهم النظرات المقدرة لمهامهم والتي تغني عن كل تعبير.

ذلكم أيها الأعزاء الوطن الذي عزم على ألا يتوقف في طريقه إلى الرخاء المرسوم الذي لا يصل إلى نكران النعمة فتزول. وتلكم أيها الأخوة توجيهات رجال الوطن التي تؤكد على عدم نكران النعمة خوفاً من أن تزول. وما دام رجال هذا الوطن يدركون أن النعمة تحتاج إلى الشكر فذلكم إيمان صادق برب هذه النعمة الذي نسيه أقوام كثيرون فكان أن نزلت بهم النوازل وحاقت بهم الكوارث وما جنى عليهم أحد، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

ذلكم أيها الأعزاء هو الوطن الذي عزم على ألا يلتفت إلى الحاسدين ولو حاولوا أن يثنوه عن مسيرة الرخاء والأمن، ولو حاولوا أن يشوشوا الأمن مضرب المثل، فكان أن أثبتوا للعالم أجمع دون أن يقصدوا أن هذه البلاد برجالها قد عزمت على أن تجعل من الأمن فيها مضرب المثل، لا لمجرد التفاخر بين البلاد ولكن لأنها شعرت أن المواطن يستحق أن يعيش الأمن كله بجميع صنوفه. فوقف الوطن في وجه أولئكم الذين أثبتوا للعالم أجمع أنهم على غير هدى في اختيارهم فرصة للبروز ولفت النظر إليهم. لقد حالفهم عدم التوفيق لأن النوايا لم تكن سليمة ولأنهم تحركوا حركات لا ترضي الله تعالى. ولأن إبراهيم عليه السلام قد دعا لهذه الأرض الطاهرة أن يجعلها الله بلداً آمناً. فهيهات لمن يسعون إلى مخالفة الأنبياء في نظرتهم لهذه البلاد وما فيها من حرمات ومن فيها من رجال آثروا أن يخدموا هذه الحرمات. ذلكم أيها الأعزاء هو الوطن الذي لم يُقَصِّر في تنمية الرجال بحيث يخدمون دنياهم ودينهم في آن واحد ومن منطلق واحد. فترى الوطن يرفض كل ما من

شأنه أن يخالف عقيدة البلاد وإن بدا منه ما يوحي بخدمة البلاد. فالوطن من هذه الناحية ينظر إلى الأمور نظرة راسخة فيها الثبات وفيها روح الانتماء. ولم تعقه قط هذه النظرة عن النماء في كل مجالات النماء. ووطن يعمل لدنياه كأنه يعيش أبداً ويعمل لدينه كأنه يموت غداً لا بد أن يصل من الرخاء مواصل يتعذر على الغير الوصول إليها ما لم يقتدوا بهذه النظرة.

وهذا هو الوطن الذي نشر دعوة التوحيد التي آمن بها وجعلها رايته تخفق في كل مكان. نشر التوحيد من خلال تنميته لرجال التوحيد من أهل البلاد وغير أهل البلاد. أقام لهم الجامعات وهيأ لهم السكن ومنحهم المكافآت. ويسر لهم السفر ذهاباً وإياباً ووفر لهم الكتاب وطبع لهم القرآن الكريم وأنفق الكثير على بيوت الله وعلى رأسها الحرمان الشريفان. وأرسل الدعاة، وخرَّج العلماء وأعان على التقوى في كل بلاد المسلمين وبين الأقليات المسلمة في كل مكان.

هذا هو الوطن الذي يأبى أن تعدد أياديه الكريمة، لأنه لا يقصد من ذلكم دنيا يصيبها، فلا يعود عليه شيء إلا أنه يخطو خطوات كريمة في سبيل خدمة هذه الراية التي ترفرف فوق كل مواطن ومقيم. هذا هو الوطن الذي يرفض أن تعتبر هذه الأيادي الكريمة مجالاً للمنة أو التذكير بها للآخرين. هذا هو الوطن الذي رسم أهدافاً سامية تقوم على نهج رباني قويم يحث على أن يعبد الله في كل مكان وزمان، ويحث على الخلافة في الأرض فلا ينسى المرء فيها نصيبه من الدنيا. وهذا هو الوطن الذي يصر على هذه الأهداف ويذكر بها كل من حاول أن ينسى من بعيد أن هذه البلاد قامت وتقوم على تحقيق هذه الأهداف.

وذلكم أيها الأعزاء هو الوطن الذي شق طريقه في عمق الثقافة والحضارة فحقق مقوماتها المادية والمعنوية. ولعل تحقيق المقومات

المادية مشاهد وملموس وتحقيق المقومات المعنوية ـ وهي المقومات الأهم ـ هو أن يشعر المواطن هنا أنه في عمق الحضارة حينما يرى كل شيء أمامه متحققاً في الوقت الذي لا يرى فيه أمامه منغصات تقف حائلاً بينه وبين التمتع بما تحقق له.

ذلكم الشعور بأنه يعيش في عمق الحضارة جعله يستفيد من مقوماتها المادية الملموسة، ماذا ترون في شخص قد مهدت له الطرق وسهلت له سبل العيش المادية، ولكنه لا يشعر بالأمن في ذاته وبين أهله وفي وطنه؟ هو يخشى على نفسه إن خرج ألا يعود، وإن عاد ألا يجد أهله. ما فائدة المقومات المادية للحضارة إن لم تتوفر مقوماتها المعنوية؟ هذه البلاد أكدت من خلال رجالها على المقومات المعنوية للحضارة لأنها احترمت الإنسان أولاً، وأدركت أنه هو الوطن ولن يقوم دون الإنسان السوي، فطرقت السبل التي تخرج الإنسان السوي. وما أجمل أن تتمثل في هذا الإنسان المواطن جميع مقومات مادية لا يمكن أن تنمو فيه بين يوم وليلة.

ومن أجل ذلكم كله، ومن أجل أكثر من ذلكم يحق لهذا الوطن أن يتذكر اليوم الذي يجمع الله فيه الشمل تحت راية واحدة هي ليست ككل الرايات، فتحية لهذا الوطن، وتحية للمواطن، وتحية لجميع الرجال العاملين في خدمة الوطن والمواطن في سبيل تحقيق الأهداف السامية لهذا الوطن، وكان الله في عون الجميع.

السعوديون.. والبشائكية..!!

أراد الله لهذه الأرض أن تكتنف أفضل مكانين مقدسين عند أكثر من مليار مسلم من البشر.. وأراد الله للسعوديين أن يكونوا هم سدنة الحرمين الشريفين بمكة المكرمة وبالمدينة النبوية.. وهذا قدر السعوديين الذي يعتزون به ويحاولون أن يكونوا عند مستواه..

وينظر الناس المسلمون - وهم بشر - على أن السعوديين بسبب وضعهم المتميز هذا لا بد أن يكونوا فوق مستوى البشر قريبين من الملائكة، فلا يصدر منهم إلا كل ما هو حق، ولا يقعون في الخطأ، ولا يحصل منهم ما يحصل عادة من البشر، ولا يكون منهم ما يكون عادة من البشر، إلا كل ما هو طيب وسار في حدود الشرع الإسلامي الذي بدأ خطواته الأولى بمكة المكرمة، ثم انطلق من المدينة النبوية، طيبة مدينة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.. وما يُحتمل من مسلم آخر خارج هذه الحدود لا يمكن أن يُحتمل من مسلم داخل الحدود التي تأتي فيها الأماكن المقدسة.

ولأجل هذه النظرة المثالية وقع كثير من المسلمين في خلط عندما أرادوا تحديد مفهوم الأماكن المقدسة، فجعلوا حدود المملكة العربية السعودية داخلة في هذا المفهوم، وكانت هناك صعوبة كأداء في إقناع

بعض المسلمين الذين هم على قسط لا بأس به من الثقافة الدينية على أن تحديد الأماكن المقدسة إنما هو تحديد قديم معروف بحدود الحرم المكي والحرم المدني، ولهذه الحدود أحكامها من حيث الصيد وقطع الأشجار ودخول غير المسلمين وعدم دخول غير المسلمين وهذه محددة من زمن ليس بالقريب. وساعدت التقنية الحديثة والتطور في التحديد من حيث المعالم والإرشادات والتعليمات وغيرها في دقة ووضوح حدود الأماكن المقدسة. ولكن جزءاً غير يسير من المسلمين يرفض ذهناً وفكراً أن يقبل هذه الفكرة.

ولهذا الخلط ظهرت فكرة عدم احتمال الخطأ من السعوديين. وكيف يخطِئون وهم آتون من بيت الله الحرام ومن مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام؟ هذا أمر لدى البعض غير محتمل. وإذا قلت إن السعوديين بشر، وليسوا ملائكة قيل لك من منطلق عقيدي نعم، هم ليسوا ملائكة ولكنهم ليسوا كالبشر، وهنا ندخل في متاهة من متاهات المعتزلة حينما نفسِّر هذه النظرية بأنها تريد للسعوديين أن يكونوا في «منزلة بين المنزلتين» دون الملائكة لأن معتقد الإنسان المسلم يؤمن بهذا، وفي الوقت نفسه ومما هو خارج عن المعتقد نجد أنهم يرون السعوديين فوق البشر المعاصر لهم. إذاً هم بشائكة!!

ولا يعني إنكار هذه النظرة البشائكية إقرار الخطأ الذي يقع به بعض السعوديين، فالخطأ منكر من السعوديين وغير السعوديين، ولكن السعوديين وغيرهم خطاؤون، وخير الخطائين التوابون.. ولا يعني إنكار النظرة البشائكية عدم توقع المثالية في السعوديين، ولكنها المثالية الواقعية الإيجابية مع الحياة الدنيا التي لا بد أن يحصل فيها ذلك.. وليس السعوديون بمعصومين فالعصمة انتهت عند وفاة محمد عليه الصلاة والسلام، لم تعد باقية لغيره من أبناء الأمة علمائها وولاتها ومفكريها

ومثقفيها وقادتها. . فكل هؤلاء بشر، يحصل منهم ما يحصل من أي بشر، ويوزن ما يحصل على الحق فما وافقه فمقبول وما خالفه فمردود. ناهيك عن عامة البشر الذين يتوقع منهم الزلل لجهلهم، وربما لضعف في الإيمان سواء كانوا داخل الحدود أم خارجها.

والنظرة الواقعية للأشياء تفرض علينا أن نؤكد أن الإسلام ليس محصوراً بالحدود السعودية، وإن كنا لا نستطيع إغفال الميزة التي قدِّرت للسعودية، وأما غير ذلك فالله كما نقول معبود في كل مكان، وفي كل زمان أيضاً. والمسلم في السعودية كالمسلم في أي مكان آخر ذكراً كان أو أنثى من حيث التكليف الشرعي ومن حيث الموقف يوم الجزاء والحساب، إذ كل سيقف وحده دون نظر إلى جنس أو لون أو خلفية لغوية أو عرقية. وإذا ما حصل من السعوديين تفريط في الميزة فإن الحساب عليهم ربما يكون أشد من آخر لم يكن له مثل هذه الميزة، ومع هذا فالتأكيد وارد في أنه لا تزر وازرة وزر أخرى، وكل يحاسب حسب تقصيره أو إتمامه لما يراد منه، بغض النظر عن بطاقة الأحوال المدنية، إذ لا بطاقات في ذلكم الموقف إلا بطاقات القلب السليم.

والسعوديون بحاجة إلى أن يكونوا حذرين جداً في تصرفاتهم في الداخل والخارج بسبب هذه النظرة المفاضلة حولهم، والمتوقع منهم، وهذا هو الحاصل في الغالب، أن يكونوا عند المستوى المتوقع منهم، فأي تصرف فردي يأخذ جانب التعميم حين يقال إن السعوديين (كلهم) يقعون في المزلق الذي وقع فيه فرد، قد لا يكون مسؤولاً إلا عن نفسه. ومع هذا لا مبرر للوقوع في المزالق غير القابلة للتسويغ.

والسعوديون بحاجة كذلك إلى أن يُفهموا الآخرين أن ما يحصل من فرد لا يقبل التعميم، وأن الجميع بشر، يحصل منهم ما يحصل، وأظن أن الذي يستطيع أن يقنع الآخرين بهذه النظرة سيخرج منتصراً، خاصة كلما بعدت المسافة عن المملكة العربية السعودية.

إن بعض السعوديين الذين تفرض عليهم طبيعة أعمالهم السفر والاختلاط بأخرين من المسلمين يعانون من هذه النظرة، حينما تنهال عليهم نظرات العتاب من تصرفات غيرهم ممن يظن أنهم جاؤوا من الأماكن المقدسة، وممن يظن أنهم حفدة الرعيل الأول الذين حملوا الرسالة على أكتافهم وفي قلوبهم وأبلغوها للناس، فوصلت الدعوة إلى ما وصلت إليه ولا تزال تمتد.. والآخرون لا يستطيعون الخروج من مفهوم أن امتداد الدعوة لا يزال ينطلق من مكة والمدينة، ومع ما في هذا من الصحة إلا أن حصر منطلق الدعوة من مكان بعينه يعيدنا إلى التصنيف الذي نريد الخروج منه.

وقد رأينا أن الدعوة مع انطلاقها من مكة والمدينة انطلقت من دمشق وبغداد والقاهرة والقيروان وقرطبة والآستانة، ونرى الآن مع انطلاقها من معظم هذه المدن، أنها تنطلق أيضاً من المدن الحديثة في العالم الحديث.

وهذا لا يعفي السعوديين من مهمتهم السامية، ولا يخرجهم عن دائرة المسؤولية، وينتظر المسلمون منهم الاستمرار في تحملها، والمزيد من الإنطلاق في خدمة الإسلام والمسلمين خدمة حديثة تتناسب واحتياجات المسلمين حسب ظروفهم وبيئاتهم، وهذا الانتظار للاستمرار والمزيد ربما يكون له أثر في مدى تقبل الإسهامات التي تصل إلى البيئات الإسلامية من حيث شعور البعض بأنها جزء من الواجب الذي يقوم به السعوديون تجاه الأمة.. هذا الواجب الذي ما فتىء السعوديون في كل مناسبة يؤكدونه. ومع كونه واجباً لا يفضي الآخرين من المستفيدين منه أن يقولوا للمحسن أحسنت، وأن يشكروا الله تعالى عليه بشكرهم للقائمين عليه، وأن يوازنوا بين الإحسان والإساءة ليجدوا فرقاً كبيراً بين المقصرين، ولكنه قانون «حسنات الأبرار سيئات المقربين» هو الذي

يطغى أحياناً على الأحكام السريعة عند الوقوف على أي تصرف لا يتوقع من السعوديين الذين أخرجوا من صنف البشر وما أدخلوا في صنف الملائكة، ولا يدخلون، فأصبحوا من البشائكة غير الموجودين على أرض الواقع.

وإزاء هذا لا يملك المرء إلا الدعاء لهؤلاء الذين يصرون على التميز من خلال الأفعال والأقوال، وكان الله في عون الجميع.

الجيل

الرجل.. والمسؤولية..

يظن البعض أن الحاكم أي حاكم يتمتع بالسعادة المفرطة عند تسلمه للحكم ويظن البعض أن الحاكم أي حاكم يملك الشيء الكثير لأنه يملك القدرة على القرار ولذا يطلب من الحاكم مثالياً ما لا يستطيعه واقعياً.

وحاكم اليوم في القرن الخامس عشر الهجري العشرين الميلادي متعدد المسؤوليات في شتى الميادين.

فعليه مسؤولية شعب، يسعى بما أوتى من قدرة على تحقيق متطلبات هذا الشعب، وهو يمارس من أجلهم الرعاية، فهو راع وهو مسؤول عن رعيته، والشعب أي شعب لديه ما لديه من المتطلبات بعضها يقبل التحقيق فيتحقق، وبعضها لا يحتمل التحقيق فلا يتحقق، والشعب فئات عدة فيه العالم الكبير، وفيه طالب العلم، وفيه الأستاذ والمعلم وفيه الطبيب والمهندس، وفيه المستشار والخبير، وفيه الفلاح والصانع، وفيه العامل والمهني، وفيه الوزير والسفير وكل هذه الفئات لها أسلوب في المعاملة ويجمعها جميعاً العدل في المعاملة والإنصاف في تحقيق الممكن مما هو مطلوب.

وعلى الحاكم مسؤولية البلاد التي يحكمها من حيث سعيه إلى جلب المصالح لها ودرء المفاسد عنها، ولذا فإن استيراد المواد، بل إن

استخراج خير الأرض يخضع عند الحاكم لجلب المصلحة ودرء المفسدة استناداً إلى استخدامات هذا الخير، ونعلم أن في الأرض خيرات يسيء الإنسان استخدامها فيجعلها أو يجعل منها مدمرات له ولسعادته. ولذا نجد أن الحاكم يتخذ القرار في درء المفسدة بعدم التعمق في التنقيب عن كل خيرات الأرض.

ومن مسؤولية الحاكم تجاه البلاد أن يكثر فيها مواطن الخير في الحقول والمصانع والمدارس والمستشفيات والحفاظ على البيئة وأمور شتى.

وعلى الحاكم مسؤولية إقليمية تبعاً لمدى تأثير البلاد التي يحكمها على الإقليم الجغرافي أو الإقليم الثقافي الذي تدور في فلكه، فإن كان الإقليم عربياً فعلى الحاكم أي حاكم مسؤولية في هذا الإقليم، وإن كان الإقليم الثقافي إسلامياً فعلى الحاكم مسؤولية نسبية تجاه هذا الإقليم. وليست مسؤوليات جميع الحكام متساوية في هذا الإقليم الثقافي، وهذا بحد ذاته يضفي مسؤولية على مسؤولية.

وعلى الحاكم مسؤولية دولية، إذ إنه جزء من مجموعة من الحكام له أثره مهما كان الأثر محدوداً في التمشي مع القرارات الدولية وتطبيقها على بلده، والعالم اليوم يعيش مجموعة من المعاهدات والاتفاقات تقيد الحاكم نفسه أحياناً وتحد من مسؤوليته ورغبته في الإنطلاق في طموحات أوآمال أو خطط يرمي إليها. والحاكم في هذا يحاول أن يوفق بين مسؤوليته ومدى ارتباطه الأدبي بهذا النظام الدولي.

ومن مسؤوليته الدولية علاقته بالعالم الآخر الذي يختلف في منطلقاته الثقافية عن منطلقات هذا الحاكم وتختلف بعض مبادئه عن مبادىء يؤمن بها الحاكم ويتبناها.. وهو مطالب بأن يوفق بين هذه وتلك فلا يخل بمبادئه ومنطلقاته ولا يهين المبادىء الأخرى الغربية إذا لم تكن تتعارض تعارضاً واضحاً مع مبادئه ومنطلقاته.

ومن مسؤولية الحاكم الدولية إسهامه في إيجاد التوازن الدولي بالقدر الذي يمكنه الإسهام فيه.

والحاكم بشر مثله مثل غيره من البشر له رغباته وعليه متطلباته فعليه مسؤولياته الاجتماعية في البيت وبين الأسرة، بل إن عليه مسؤولياته تجاه نفسه قبل المسؤوليات الأخرى.

ومن مسؤوليته العظمى أنه مؤتمن على الحكم ويتحمل أعباءه، فهو مسؤول أمام الله تعالى في استغلاله الرعاية استغلالاً يرضي الله تعالى فيرضى عنه الناس. وهذه هي المسؤولية الكبرى التي تتحقق معها جميع المسؤوليات إذا ما تحققت.

وإن مجرد الإحساس بهذه المسؤوليات الجسام ليضفي عبئاً على الحاكم يسعى إلى الاضطلاع به.

ومما يعين على تحمل المسؤولية أن يهيّء الله تعالى الأسباب التي تطرق ويقدر عليها من خلال اختياره مجموعة من المعاونين على تحقيق الأهداف، فيكون هؤلاء اليد اليمنى للحاكم ينوبون عنه في التنفيذ بموجب الصلاحيات التي يمنحها إياهم، ويتحملون أمامه مسؤولياتهم، ولكنهم لا يتحملون مسؤوليته هو، ولذا قالوا في الإدارة إن الصلاحيات يمكن أن تفوض ولكن المسؤوليات لا تفوض. إلا أن الأعوان الثقات يقفون وراء الحاكم العظيم. ومتى ما وجد معاون متقاعس أثر هذا ولا شك على أداء الحاكم نفسه، والناس تعودوا على النظر إلى القمة عندما يلحظون تقصيراً.

وبغض النظر عن الناس فإن الحاكم نفسه يحاسب نفسه كل يوم، ويقوِّم ما مر به من أمور وأحوال في اليوم والليلة، فينام هانئاً عندما يرى الحسن في التقويم، وينقض مضجعه إذا ما وجد المنغصات. ونعلم من المتابعة أن أموراً جساماً تمر على بعض الحكام فلا ينامون الليل والناس

نيام. وبعض الأمور الجسام تحتاج إلى وقت وتفكير واستشارة وتحليل ونظر للعواقب، ولذا فإن مسألة الراحة على ما يبدو غير واردة في ذهن الحاكم حتى في حالات يظن البعيد أنها حالات الراحة.

إذاً فالمسؤولية عظيمة، والملك فهد بن عبد العزيز يتحمل هذه المسؤولية منذ زمن ويقوم بأداء هذا التكليف منذ زمن، ويسعى إلى تحقيق الأهداف الخيرة منذ زمن، وحيث إننا تعودنا على حديث الأفعال فإن واقع البلاد اليوم في المجالات العمرانية والصناعية والزراعية والصحية والتعليمية والحضارية والثقافية، وواقع الدولة بين الدول إنما هو مجموعة من الأفعال التي تترجم مدى تحمل المسؤولية، ومدى عظمها على عاتق الرجل الذي أراد أن ينادى بخادم الحرمين الشريفين، نابذاً كل لقب خلاف ذلك، وهذه بحد ذاتها ووحدها مسؤولية ضخمة. فالدعاء للرجل بالعون والتوفيق. والدعاء للبلاد بالمزيد من الخير والثبات. وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة

عندما بكى الناس!

في الدقيقة الثالثة والثلاثين من يوم الاثنين التاسع والعشرين من شهر رمضان المبارك ١٤٠٥ هـ الموافق للسابع عشر من شهر يونيه (حزيران) ١٩٨٥ م بكى الناس، كثير منهم بكى حينما ثار الدخان وكأنه عاصفة غبار أبيض من تحت المركبة الفضائية (الاكتشاف/ أو ديسكوفري) معلناً انطلاقة الرائد العربي المسلم الأول.

لماذا بكى الناس؟ بكى الناس لأنهم رأوا في رائد الفضاء العربي المسلم أملاً في فتح آفاق علمية جديدة تصحح الصورة العربية المسلمة أمام الناس. لقد كانت ولا تزال الصورة قاتمة مليئة بالاتهامات. وفي خضم أحداث بيروت وتحت نير الدعاية الإعلامية الغربية لاختطاف طائرة خطوط عبر العالم، وفي خضم الاضطهاد اليهودي لعرب فلسطين المحتلة، وفي خضم الأحداث الأخرى، في خضم هذه كلها يطير الأمل العربي المسلم يقف جنباً إلى جنب مع فطاحلة العلوم. لا يطير هذا الشباب وحده، ولكنه يحمل معه قلوب الملايين من المسلمين في كل مكان والدعاء يلاحقه بالتوفيق. لا يطير هذا الشاب وحده، ولكنه يحمل معه الخبرة العربية المسلمة التي حملها أياه فريق علماء العرب المسلمين من أبناء هذه البلاد.

بكى الناس لأنهم أحسوا أن عهداً جديداً فتح بابه على مصراعيه للعرب والمسلمين يدعوهم للعودة إلى المساهمة في النهضة العلمية العالمية التي كانوا قد نالوا فيها قصب السبق، وبكى الناس لأنهم قد شعروا أنهم قد «تذكروا» الماضي عبره، وهم اليوم يعيدون بوادره عملاً، وبكى الناس لأنهم بدأوا يشعرون أن هناك تكنولوجيا عربية إسلامية تغزو الفضاء بكتاب الله، وتبدأ الإنطلاقة بدعاء السفر «سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين..» فتتعانق الروح والمادة في فضاء الله الواسع معلنة «باسم الله، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللهم هوّن علينا سفرنا هذا، والموعظة بعده، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر ومن كآبة المنظر ومن سوء المنقلب في المال والأهل» وكأني برائد الفضاء يقول اللهم ازو لنا الأرض والفضاء فهو في الفضاء يطير وعلى الأرض يعود موفقاً ـ إن شاء الله ـ.

وبكى الناس العرب المسلمون في كل مكان نقل الانطلاقة على الهواء، لأنهم قد ملوا مشاهدة الانطلاقات السابقة على الهواء وكأن ليس لهم فيها أو عليها ذِكرٌ، واليوم تنطلق الرحلة المكوكية ولهم عليها الذكرُ كله. إنهم يبكون في باريس ولندن وواشنطون وفرانكفورت وهم يتابعون الإنطلاقة بالتعليق العربي المسلم الذي كان مع الله في تعليقاته كلها لتجسد هذه التعليقات تعانق الروح مع المادة معلنة مرة أخرى وسطية هذه الأمة التي حققت الأسباب العلمية التكنولوجية بتوفيقه تعالى، وحققت الاعتماد والتوكل على الله سبحانه وتعالى، وذلك في وسط مجتمعات غربية أعمتها صنوف الحياة ومخترعاتها حتى نأت بعقولها ووجدانها عن ترديد ذكر الله.

لقد كانت الرحلة مؤثرة تأثيراً عاطفياً كبيراً على كل أولئك الذين شاهدوها حية على الهواء تنطلق باسم الله مجراها ومرساها. لم يتمالك

المذيع العربي عيسى خليل الصباغ من أن يبدو عليه التأثر، حاول كتمان بكائه ولكنه لم يستطع فكانت «الحشرجة» في كلامه واضحة رغم أنه كان يعلن الانتقال إلى أحد المرسلين في المراكز الأخرى. ولم يتمالك خبير الفضاء «فانس برانت» من أن يصد بوجهه يمينًا عندما لاحظ الصباغ في حالة من التأثر، وذلك لئلا يشعر المذيع بحرج الموقف وهو الرجل الذي مر بالتجربة ذاتها قبل تجربة التعليق عليها مع المذيع الصباغ.

هذه الحشرجة التي بدت على المذيع، إنما هي ترجمة «محافظة» مكتومة ما أمكن لدموع بدت من خلف النظارات التي كان يلبسها مجموعة من العلماء السعوديين ممن كانوا في مركز كيندي يشاهدون انطلاقة أخيهم وصديقهم وعزيزهم الرائد العربي المسلم. وكانت ترجمة لدموع وبهجة واغتباط مقرونة بحمد الله تعالى كانت تبدو على الجموع التي كانت تجلس أمام الشاشات ترقب وقائع الانطلاقة.

لقد مرت هذه المشاعر على من قبلنا وهم يطلقون المركبات الواحدة تلو الأخرى، وقد شاركناهم هذه المشاعر؛ لأننا نعتقد أن هذه الانطلاقات إنما هي ترجمة للعقل والتفكير البشري الذي وهبه الله المعرفة وطلب منه أن يستغلها في التفكير والتعقل بآيات الله في الماء والأرض والسماء، ولكنا نشارك هذه المشاعر فقط. ومشاركتنا هذه عن قرب أضفت علينا من المشاعر ما لم نتوقعه من قبل. حقًّا لقد كانت لحظة تاريخية في يوم تاريخي.

وسط هذه المشاعر لا ننسى أن هذا كله هو إنما انطلاقة فقط، أي أن ما حدث ذلكم اليوم يمكن أن ينظر إليه على أنه خطوة أولى ومبدئية نحو نهج علمي تكنولوجي عربي مسلم كان قد بدأ منذ زمن وبرز للعيان كخطوة أولى يوم الإثنين التاسع والعشرين من شهر رمضان المبارك ١٤٠٥هـ معلنًا بداية المسيرة العلمية التكنولوجية.

صينية، إذ إن هذه العلوم لا تعترف بالحدود. وقد حث الله سبحانه المسلمين على طلب العلم لأنه من مصادر القوة لهم، فلم التمييز ما دامت قابلة للتطبيق على مستوى عالمي؟ التكنولوجيا العربية لا تختلف عن التكنولوجيا الغربية أو الشرقية إلا بركيزتين رئيستين:

الركيزة الأولى: أن روادها سيكونون عرباً مسلمين لا بالأسماء، ولكن باعتمادهم على الله ثم على العقول المبصرة لأهمية العلم ورواده. ولعل الساعة المطورة حديثاً المسماة (بلال ٤) خير دليل على ذلك وقد طورت بفكرة عربي مسلم وهي تحدد القبلة وتعطي أوقات الصلاة بكل مكان.

الركيزة الثانية: أن التكنولوجيا العربية تنطق العربية ورموزها عربية ومعالجتها عربية، وتطور كذلك لتلائم البيئة العربية والإسلامية وتناسبها، وهي بهذا منتمية، تخدم تطلعات العقل البشري بما يحقق طموحاته، وتغفل أي إجراء تكنولوجي لا يحقق أبعاد هذه الطموحات العلمية بمعتقدها وخلفيتها. ونقل التكنولوجيا الغربية ـ غربية أو شرقية ـ لا يعد تقدما تكنولوجيا في مقابل تطوير التكنولوجيا الوطنية. وهذا ما يجعلنا نركز على فريق الخبراء العرب المسلمين الذين يقفون وراء هذه الرحلة في مجال من مجالاتها. وما يقومون به إنما هو طموح متقدم في طريق التكنولوجيا العربية التي تدعو إليها.

وأخيراً، فقد بكى الناس في ذلك اليوم بكاء من نوع خاص لم

يألفوه من قبل، وألفوا البكاء على الأبناء والبنات والأزواج والزوجات والآباء والأمهات حينما يحل بهم مكروه، وألفوا البكاء على إخوتهم في فلسطين وفي لبنان وأفغانستان وغيرها، وقد كانوا طعماً للفتن والحروب والآلام. فحري بالناس أن يبكوا بكاء الآملين الفرحين بعد أن بكوا بكاء الآلمين، وجعل الله مع كل خطوة خيرة نخطوها سلامة.

ما هو شعورك؟

سؤال يتردد كثيراً في مناسبات مختلفة، فحينما تختطف طائرة ويفرج عن الرهائن يأتي أحد المحققين من صحفيين وإعلاميين ليسأل أحد المخطوفين: ما هو شعورك وأنت على متن طائرة مخطوفة؟!

وحينما ينجح الطالب في مرحلة نهائية يسأل عن شعوره. وحينما يفوز فريق أو لاعب أو مثقف أو مخترع بجائزة أو بطولة يسأل عن شعوره.

ولقد أحسست بالامتعاض حينما وجه أحد المذيعين الذين كانوا ينقلون انطلاقة المركبة الفضائية السؤال إلى فهد بن سلمان عن شعوره وهو يرقب المركبة تنطلق بأخيه تمخر عنان الفضاء. لم يكن السؤال ـ في نظري ـ في محله. فالشعور معروف ولا يحتاج إلى من يسأل عنه. ولعل الامتعاض هذا بدا على وجه الأمير فهد حينما سئل هذا السؤال فأجاب عليه إجابة هادئة لكن فيها دلالة على عدم ارتياحه للسؤال: ما شعورك؟ فكانت إجابته بأن هذا السؤال كثيراً ما يطرح في مثل هذه المناسبات وأنه لا يستطيع وصف شعوره بكلمات. وكأني بالأمير يقول للمذيع أليس عندك أعمق من هذا السؤال في هذه اللحظة من الزمان؟!

معاشر المقابلين: لا تسألوا هذا السؤال إطلاقاً فإن عليه ملاحظتين: الأولى لا يقال: ما هو شعورك؟ بالضمير «هو» لأن الضمير هنا يعود على

مجهول والأولى أن يقال: ما شعورك؟ ما مدى ما توصلت إليه؟ ما الأسباب التي دعت إلى حضورك؟ وليس «ما هي الأسباب». . وهذه ملاحظة لغوية.

الثانية: أن هذا السؤال بهذه الصيغة أصبح اليوم ممجوجاً كثير الترديد، ولا أتوقع أن طارح مثل هذا السؤال ينكر أو يجهل مثل هذا الشعور. ويمكن أن يسأل عن الموقف ذاته بأساليب كثيرة غير هذا السؤال المباشر، وإن لم يسأل عن الشعور فهو أفضل، ومجالات السؤال عن الموقف كثيرة غير السؤال عن الشعور. والخلاصة أن مثل هذا السؤال يجب أن يحذف من قائمة الأسئلة التي تعد في أية مناسبة من المناسبات.

عـربسـات «٢»

وانطلق يوم الثلاثاء الأول من شوال (عيد الفطر المبارك) الثامن عشر من يونيه (حزيران) القمر الصناعي العربي الثاني (عربسات «٢») داعماً لشقيقه الأكبر الذي أُطلق قبل ثلاثة أشهر. وما يقال في عربسات الأول يمكن أن يقال في عربسات الثاني من حيث تنمية جوانب الاتصال بين الدول العربية والجوانب الأخرى التي أثيرت عند الحديث على الشقيق الأكبر، إلا أن فرص الاتصال بدأت تتنمى أكثر، مما سيكون له دور بارز في جوانب التنمية في المنطقة العربية، خاصة أن جوانب الاتصال تعتبر اليوم من أوائل التجهيزات الأساس للتنمية في أية منطقة، والمنطقة العربية بأمس الحاجة اليوم إلى التركيز على التجهيزات الأساس للتنمية كأساليب الاتصال والمواصلات.

ويبقى أن نتذكر كل لحظة أن هذه الإنجازات من انطلاقة المركبة الفضائية وانطلاقة القمر الصناعي العربي الأول والثاني والقمر الصناعي العربي الثالث «الاحتياطي» وإنجازات علمية كبرى تشهدها المنطقة

العربية، كل هذا يساهم فيه العقل العربي المسلم الوطني مما يؤكد ما ناقشناه من محلية التكنولوجيا العربية حيث الأصالة والملاءمة، وحيث تجني هذه البلاد بفضل من الله تعالى ثمرة جهد طويل المدى في إعداد الخبرة الوطنية التي تقوم على إنتاج وتشغيل وصيانة التكنولوجيا العربية، جعل الله التوفيق حليفهم جميعاً، ولنا لقاء غداً إن شاء الله مع رائد الفضاء العربي المسلم حينما يعود إلينا سالماً فنتابعه وهو يحط مع زملائه في قاعدة اندروز في ولاية كاليفورنيا فمرحبا به وعوداً حميداً بإذن الله.

الجزيرة، العدد ٤٦٥٠

السبت ٥ شوال ١٤٠٥ هـ الموافق ٢٢ يونيه ١٩٨٥ م

الرياض تجوب ألمانيا!

في اليوم الثاني من شهر محرم من عام ١٤٠٦ هـ الموافق التاسع عشر من شهر سبتمبر من عام ١٩٨٥ م بدأت مدينة الرياض ـ الشامخة ـ جولة تعرف بنفسها على أهم المدن الألمانية في كولونيا في الوسط وقرب بون العاصمة، ثم في شتوتغرد في الجنوب، ثم في هامبورغ في الشمال، وقد لا يبالغ أي شخص عندما يقرر أن الرياض لاقت ترحيباً دافئاً من قبل الألمان على المستويات المختلفة، فقد بدأ ذلك في الجولة الأولى للرياض في مدينة كولونيا، وقد رأى الناس هناك الصفوف الطويلة التي كانت تنتظر دورها في رؤية مدينة الرياض الشامخة. وتتاح لنا الفرصة لرؤية انطباعات الناس من خلال زيارة المعرض مرتين الأولى كانت رسمية يوم الافتتاح، والثانية وكانت خاصة رأى فيها المرء ما لم يتمكن من رؤيته في الزيارة الرسمية الأولى.

والذي أسبغ على الرياض هذا الإقبال والقبول كون رجال الرياض وعلى رأسهم سمو أميرها الأمير سلمان بن عبد العزيز يرعونها في الافتتاح، وإلى آخر لحظة. فالذين أموها يوم الافتتاح أعطوها طابعاً رسمياً جلب إليها الأنظار الرسمية في كولونيا القريبة من بون عاصمة البلاد ومقر البعثات الدبلوماسية في ألمانيا. ثم يأتي أولئكم الرجال الذين عملوا

ويعملون من وراء الستار، وكنت تراهم يوم الافتتاح إلى يوم الختام وهم يقفون على قدم وساق يتابعون ويقدمون الخدمات التي اعتادها المرء منهم في مثل هذه المناسبات فكانوا هم المحرك الذي نتج عنه نجاح معرض مدينة الرياض في كولونيا المدينة الألمانية الكبرى.

ولعل الاهتمام بالرجال قد تكرر أكثر من مرة في هذه الصفحة، وذلك لأن كاتبها يعقد على الرجال الآمال الكبار في أن يمثلوا بلادهم خير تمثيل، وهذا ما حدانا أو حدا بنا إلى أن نحاول التوقف مع أكثر من رجل في أرض المعرض وخارج أرض المعرض نوحي لهم بتقدير المجهودات التي يقومون بها. ولن تقوم الدنيا كلها إن لم تقف على أكتاف المخلصين من أبنائها الصالحين.

نرى الشباب العربي المسلم الذي كان موجوداً في المعرض بزيه السعودي العريق يمثل بلاده خير تمثيل فشبابنا ـ بفضل من الله ـ رجال في وجوه الشباب.. ومدينة فيها هؤلاء الشباب وبلد يخرج مثل هذه الفئة من الشباب لا بد أن ينهض، ولا بد ـ بحول من الله وقوة ـ أن يصل إلى المستويات التي يريدها له رجاله.

الوجه الإعلامي

والجانب الإعلامي في المعرض كان ـ مثل غيره ـ موفقاً في إبراز مدينة الرياض كما هي دون مبالغة، لكن الأسلوب الذي اتبعت فيه الدعاية لمدينة الرياض كان الأسلوب الذي يقبله العقل الأوروبي، وقد تعود عليه كالملصقات والأفلام والصور والاتصالات بأكبر رقعة إعلامية ممكنة، وتزويد المحررين والمحققين بالمعلومات التي لم يكن الواحد منهم ـ بحق ـ يفكر في نسبة قليلة منها. ولكنه العقل المفكر الذي درس ما يريده هؤلاء من أساليب إعلامية، فقدم لهم الرياض بأساليبهم.. وكان المكتب الإعلامي في المعرض بحق مشغولاً طوال الوقت في محاولة لتلبية

الطلبات التي تصله إما من الهيئات الإعلامية أو من الأشخاص الذين يزورون المعرض. ولم يكتف المسؤولون فيه بذلك، بل إنهم خرجوا عن أرض المعرض فتجد ملصقات مدينة الرياض في مدينة مثل بون العاصمة تدعوك إلى زيارة المعرض.

وهذا فقط مجرد محاولة سرد للانطباعة التي خرج بها زائر المعرض، وليس الموقف هنا موقف إطراء أو تعديد للوجوه التي ساهمت في إنجاح المعرض، إذ لو كان الأمر كذلك لما أعطينا كل ذي حق حقه من الإطراء سواء في مقام إمارة منطقة الرياض برجالها، أو في أمانة مدينة الرياض برجالها، أو في السفارة السعودية في بون برجالها، أو في الجهات الأخرى المتعددة التي كانت وراء نجاح هذا المعرض الفريد لمدينة الرياض الشامخة.

الأمس.. واليوم..

والرياض ـ المدينة الشامخة ـ قدمت نفسها للناس بين الأمس واليوم وهي بذلك تود أن تنبه الكثيرين على أنها فخورة كل الفخر بأمسها ببساطته العمرانية وعراقته العربية وانتمائه العقيدي فاظهرت الرياض نفسها للناس حينما كانت صحاري مرتعاً للرحل من أبنائها. . ببيوتهم المتنقلة معهم، ثم بدأت تستقر فيها الحياة فترى بيوت الطين في بداياتها إلى أن بدأ يعلوها البياض وتدخل عليها الزخرفة، ثم بعد ذلك ترى نفسك أمام مشروعات ضخمة للخطوط العريضة والجسور المتعددة والعمارات الحديثة المرتفعة منها والمبسطة وترى مدينة الرياض وقد أصبحت مجموعة من المدن، فهذه مدينة صناعية وهذه مدينة جامعية وتلك مدينة دبلوماسية وأخرى مدينة علمية وهكذا.

والرياض حينما تربط أمسها بيومها وغدها إنما تريد كذلك أن توحي للكثيرين بعدم التخلي عن أمسهم إذا كانوا ينتظرون غدهم. فما اليوم دون

الأمس، وما الغد أن لم يكن قد قام على قواعد اليوم والأمس؟ والرياض بذلك تحيي ذكرى أبناء الأمس الذين عمروها وذللوا عقبات كثيرة لأبناء اليوم ليتموا عمرانها.

والذي زار الرياض المدينة بالأمس ولم يتمكن من زيارتها اليوم، ولكنه زار الرياض المعرض في كولونيا تعجب كثيراً مما وصلت إليه اليوم ـ رياض الأمس. فقد زارها أحدهم قبل عشرين عاماً من أيام الأمس، ورآها في كولونيا اليوم وسجل بعد هذه الزيارة مقدار إعجابه بأن قال «إذا كان البشر يهرمون مع الأيام فإن الرياض تزداد شباباً وحيوية بعد يوم. حقاً إن الرياض (الأمس) لا بد أن تفخر برياض اليوم، وحقاً إن رجال الأمس فخورون برجال اليوم من أبنائهم» وقد ولدت زيارة الرياض المعرض رغبة أكيدة لدى الكثيرين لزيارة المدينة الشامخة الرياض.

وفي إحدى محطات التلفزيون الألماني ظهر أمين مدينة الرياض الأستاذ عبد الله العلي النعيم ينادي بزيارة الرياض بالأسلوب الذي تقبل فيه الرياض زوارها. فقد نوه أمين مدينة الرياض بأن أن هذا المعرض ليس للدعوة لزيارة الرياض زيارة سياحية وإنما هو وسيلة للتعريف بمدينة الرياض دون غرض سياحي. أما من يريد أن يزور مدينة الرياض فإن أفضل وسيلة له ـ كما ذكر الأمين ـ أن ينضم إلى الملايين من زوار بيوت الله بعد أن يمن الله عليه بالإسلام. وما يدريك فلعل الرياض المعرض تكون وسيلة لأن ينضم البعض إلى هذه الملايين من زوار بيت الله. خاصة أن مدينة الرياض لم تغفل الأمس الذي كانت عليه، كذلك أن مدينة الرياض أوضحت الجانب الروحي الذي تفخر به فعرضت للناس مجسماً لبيت الله الحرام في مكة المكرمة كان مؤثراً، وكانت الصفوف متراصة تنتظر دورها في الاستماع إلى الشرح المصحوب بالإضاءة المناسبة.

جوانب للملاحظة!

ولا بد لمثل هذا العمل الكبير من بروز بعض الملاحظات المجردة التي يراها الزائر فيود لو لم تكن موجودة، أو يود لو أضيفت مع الاعتقاد بإمكانية ذلك، والاعتراف سلفاً بعدم الإطلاع التام على ظروف ومجريات المعرض في إعداده واستعداده. ولكن عملا مثل هذا لا بد أن ينال حقه من الملاحظات من جهة، ومن جهة أخرى فهذه محاولة لعدم إتاحة الفرصة للخروج من هذه الصفحة بالانطباعة التي مؤداها أن عين الرضا عن كل عيب كليلة. ومن جهة ثالثة فالمعتقد أن القائمين على إعداد المعرض لا يستغنون بأي حال عن الملاحظات التي تعينهم على أن يخرج المعرض في مراته القادمة بأسلوب أكثر نجاحاً مما ظهر عليه في كولونيا، ولعل من هذه:

١ ـ الرياض تريد أن تُري الناس الكثير مما لديها فلذلك تحتاج إلى رقعة أوسع مما كانت عليه خاصة مع الإقبال الكبير على المدينة المعرض الذي ـ كما ذكرى ـ كان فوق المتوقع.

٢ ـ والرياض في المعرض حرصت على أن تكون واضحة للناس كلهم، فلذلك عمدت إلى الإكثار من الأضواء مما أكسب الجو حرارة غير معهودة خاصة مع الإقبال الكبير والضيق النسبي للمكان. والمدن الألمانية عموماً لا تعرف التكييف، ولعل سعة المكان تعين على خفة حدة الحرارة غير المعهودة.

٣ ـ والرياض في المعرض اكتست حلة جميلة حينما كان أبناؤها يتجولون بزيهم العربي الفريد، وعادة يصحب ذلك كله الجانب الغذائي، حيث تهتم هذه الشعوب بالأكلات العربية المحلية بمطعم صغير يقام لهذه المناسبة تقدم فيه الوجبات العربية المحلية بأثمانها التي تغطي تكاليفها. ولا بأس من القهوة العربية مصحوبة بالرطب أو التمر.

٤ ـ ساهمت شركات عالمية كبيرة في بناء مدينة الرياض بوسائل متعددة وأساليب مختلفة، وحبذا لو طلب من هذه الشركات المساهمة في الدعاية لمدينة الرياض ومدن المملكة الأخرى بإقامة معارض مشتركة فيما بينها تكون متنقلة، ويكون التنسيق فيها عائداً إلى أولئك الذين نسقوا لمعرض مدينة الرياض في ألمانيا. ويمكن أن يكون هذا من ضمن الجوانب التي يتفق عليها عند استلام المشروعات الكبرى لمدن المملكة. وذلك لأن مدينة الرياض ـ وغيرها من مدن المملكة ـ ربما لا تستطيع أن تجوب العالم بهذا المستوى من العرض الجميل والإعداد والدعاية والدعوة له.

٥ ـ الجانب الإعلامي كان موفقاً، لكن العادة جرت على توقع المزيد من الإعلاميين في تغطية مثل هذه المناسبة. ولعلنا نركز هنا على استصدار المواد الإعلامية التي لا تكلف كثيراً وتدوم قليلاً، إضافة إلى ما أنتج من أفلام ونشرات ومعلومات، فجوانب الدعاية والإعلان قد فاقت في عالم اليوم مجرد السمع والبصر إلى المحسوس من المواد التي تأخذ جانب المتحفية في عرضها ومادتها.

الرياض في ألمانيا خطوة فريدة من نوعها نالت إقبالاً كبيراً دعا إلى تكرار مثل هذه الخطوة في أماكن أخرى غير ألمانيا ولمدن المملكة الأخرى غير الرياض كما أمر جلالة الملك حفظه الله بذلك. وقد آتت هذه الخطوة ثمارها في الأيام الأولى من افتتاح المعرض في كولونيا، وينتظر المزيد في مدينتي شتوتغارد وهامبورغ. فهنيئاً لكل أولئك الذين حرصوا على أن يربطوا يوم الرياض بأمسها.

الجزيرة، العدد ٤٧٥٥

السبت ٢١ محرم ١٤٠٦ هـ الموافق ٥ أكتوبر ١٩٨٥ م

الموارد البشرية.. والدورات

قبل سنين قليلة كانوا يتحدثون على العجز في القوى العاملة وتأثيرها على مسيرة التنمية في بلادنا، وكتبوا البحوث والدراسات والمقالات حول هذا الموضوع وركزوا على وجود العاملين الأجانب عموماً وسلبيتهم على المجتمع، ودعوا إلى التقليص من الأجانب في بلادنا لنحافظ على ثقافتنا وكانوا يقصدون بالأجانب غير المسلمين ممن ساهموا في مسيرة التنمية، وقصد بعضهم كل من هو أجنبي على المجتمع السعودي، ولم يكن ما قالوا كلاماً عابراً، ولكنه كان ذا وزن لأنه دعم بالتوثيق والشواهد والاستقراء والأرقام.

كان ذلك بالأمس ولكننا اليوم وقد وجدنا أمامنا نهضة شاملة عمرانية وحضارية تحققت في بدايتها البنية الأساسية للتنمية نجد أنفسنا قد بدأنا نتحدث على «التوجيه» في التعليم، وتخريج دفعات تحل محل أولئكم الذين سعينا إلى الاستغناء عن خدماتهم ليحل محلهم أبناء البلد، «والتوجيه التعليمي» بحق يعد اليوم في مراحله الأولى، ذلك أن الحاجة إلى القوى العاملة لا تزال قائمة والحاجة هذه لم يترك تحقيقها للظروف والمعاهد والكليات والجامعات فحسب، بل شاركتهم في ذلك معاهد

تنمية القوى العاملة التي تساهم في التخطيط لتغطية حاجة البلاد من السواعد والأذهان.

هذا على الصعيد العلمي الموضوعي، وأما على صعيد الرأي والذاتية فنجد أن هناك دعوة غير «مترفقة» للتقليل من الإقبال على التعليم الفني والمهني. والدعوة هذه محقة من حيث المبدأ، لكن الأسوأ فيها أن يذهب الأمر بالبعض إلى الاستهانة بالتعليم الجامعي عموماً وبالجانب النظري منه خاصة.

وواقع الجامعات بالأمس واليوم يوحي للكثيرين من المتتبعين أن التخصصات العلمية والفنية لم تتأثر في سنة من السنين على حساب الإقبال على التخصصات النظرية، بل كان التخصصان يسيران سيراً متناسقاً مع غلبة واضحة لمسيرة التخصصات العلمية حينما ظهرت الدعوة أخيراً إلى التقليل من «الاندفاع» في التعليم الجامعي.

ولعل نظرة من ذهبوا لهذا الرأي أن الجامعة كانت وستظل تخرج مجموعات من الإداريين والمدرسين فقط. وهم معذورون في ذلك إذا لاحظنا أن كثيراً من خريجي الجامعة يتوقفون عند شهادة البكالوريوس دون محاولة إلى تطوير أو تحسين أوضاعهم من خلال الدورات التي تعقد ويشترط للقبول فيها الحصول على الشهادة الجامعية. وهي دورات عديدة تعطيها جهات تعليمية وإدارية وفنية غير واحدة. والنظر إلى هذه الفكرة كان يحدوه الاعتقاد أن الشهادة الجامعية هي آخر المطاف. وهذا الاعتقاد لا بد أن يتغير اليوم كما تغير بالأمس القريب الاعتقاد بأن الشهادة «الابتدائية» كانت كفيلة بأن تؤمن لصاحبها مكاناً في المجتمع آمناً اجتماعياً ومادياً. ثم انتقل الاعتقاد إلى الشهادة المتوسطة فالثانوية، ولا بد أن يتعدى اليوم المرحلة الجامعية لا ليصل إلى برامج الدراسات العليا من الماجستير والدكتوراه، ولكن لنجد أن كثيراً من الجامعيين ينصرفون إلى

الدورات التي تؤهلهم مهنياً وفنياً ليصبحوا في النهاية مشرفين ومعلمين وموجهين لفئات كثيرة من الشباب تتجه إلى التعليم الفني والإعداد المهني. وهما اتجاهان بدورهما يتطوران وتدخل عليهما التقنية الحديثة أساليب جديدة تحتاج إلى المتابعة من خلال الدورات.

وخلال السنوات العشر القادمة سيتخرج حوالي ٢٠٠,٠٠٠) مائتي ألف طالب وطالبة من الجامعات فقط، وهو عدد ـ أراه ـ غير كبير في عشر من السنين إذا ما وازناه بعدد سكان المملكة بشكل عام وبعدد الطلبة والطالبات في المراحل دون الجامعية، وقد لا يمثل هذا العدد ٢٠٪ من مجموع من سيتخرجون من الطلاب والطالبات، أي أن هناك حوالي ٨٠٪ والنسبة «تقريبية» من الطلاب والطالبات لن يصلوا إلى المرحلة الجامعية، وهناك نسبة من هذه النسبة سينصرفون إلى التخصصات الفنية والمهنية، ولو تخصص ١٥٪ إلى ٢٠٪ من ٨٠٪ في هذه التخصصات لنالت البلاد حقاً وحظاً وافراً من المتخصصين في الجوانب التي برزت الحاجة إليها من خلال التقليص من العمال الأجانب بشكل عام والفنيين منهم بوجه خاص، مع أنني أوافق من يقول أن التخلص التام من العاملين الأجانب أمر لا يمكن تحقيقه عملياً، لأن ظروف العالم اليوم تعين على أن يكون في كل مجتمع مجموعات من العاملين من غير أهل البلاد. ولا أعرف بلداً في العالم مع قصور في الاستقرار ـ أعلن الاكتفاء الذاتي في العاملين.

التكثيف من الدورات

الذي يبدو أن الحاجة قائمة إلى تكثيف الدورات التدريبية لتأهل مجموعات من خريجي الجامعات لخوض مجالات فنية ومهنية، تتناسب قطعاً مع المؤهل الجامعي الذي يحصل عليه الطالب، خاصة أن الجامعة

اليوم «متهمة» بعدم مقدرتها التامة على التأهيل بسبب من تزاحم المواد والمقررات وضيق في مجال الاختيار والتركيز، وجهل لا يزال قائماً في أهمية الإرشاد العلمي «الأكاديمي». ومن هنا ينظر البعض إلى الجامعة اليوم على أنها بداية الإنطلاقة نحو التأهيل، وليست هي نهاية هذه الإنطلاقة. وهنا يأتي دور التدريب لتنمية وتحسين وتطوير اتجاهات الطلاب وخاصة منها الفنية والمهنية.

قد يواجه هذا الرأي بالاستغراب ممن يعتقدون أن طالب الجامعة لا يتوقع منه أن يتقبل مثل هذا «التوجيه التعليمي» في وقت يتطلع فيه إلى الوظيفة في مرتبة وظيفية عالية كالسادسة أو السابعة، ولكن هذا التطلع لن يدوم طويلاً، لأن هذه الوظائف محدودة بحاجة البلاد إليها من ناحية في الوقت الذي تبقى فيه مراتب أخرى شاغرة بسبب ندرة من يشغلها. ولا يعتقد البعض أن الخريج سوف يعين في الرابعة أو الخامسة، ولكن هذا يعني أن الخريج ربما نال مرتبة أعلى من خلال الدورات التي ينتظر منه بعد اجتيازها أن يعمل على تخريج الفنيين والمهنيين. من خلال المعاهد والمؤسسات الفنية التي تنتظر أعضاء هيئة التدريس من أبناء البلاد المؤهلين علمياً وفنياً، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يعمل خريجو هذه الدورات في المجالات الفنية أنفسهم. ويحضرنا هنا مثال الحاسب الآلي الذي أصبح اليوم حاجة عصرية ملحة، وهو بحاجة إلى المبرمجين والمدخلين المعلومات والمستخرجين وما إلى ذلك، ولا يكفي أن يقوم بهذه المهمة خريجو كلية الحاسب الآلي وحدهم. وهكذا نجد أن خريج الجامعة مطلوب منه المساهمة ليس التدريس والوظائف فحسب، ولكن في الجوانب الفنية المتعددة التي اشتدت الدعوة إليها في الآونة الأخيرة، ويتحقق ذلك من خلال تكثيف الدورات.

فائدة: الذين يتحدثون على هذا الجانب يذكرون دائماً مصطلح

«العمالة» ويقصدون منه العاملين وليست هي العاملين أنفسهم أي ما يحصل عليه العاملون مقابل عملهم من أجر مادي أو غيره والأجنبي كلمة تطلق كثيراً على غير السعودي، ولا أرى المسلمين أجانب عنا مهما ابتعدت ديارهم.

الجزيرة

النعيم.. ونظرية الحوافز!!

هناك نظرية إدارية ممارسة، ولكنها قد لا تكون معلنة في أقسام الحوافز من كتب ومقالات الإدارة، مفهوم هذه النظرية أنه ينبغي أن لا يقال للمحسن أحسنت، لأن الأصل في الأمر أن يكون المرء محسناً في عمله متقناً له، لا يخطىء فيه، فإن حصل منه خطأ على مر الأيام والسنين جاءه لفت النظر الشفهي أو التحريري الذي تحفظ منه نسخة في ملفه لتؤثر على تقدمه الوظيفي.

ولا يكاد الممارسون لهذه النظرية يقرون بها عند المواجهة، ولكنهم لا يبدر عنهم ما يفيد بتقديرهم لعمل عامل من ذكر أو أنثى.

والمرء تركيبة فيها المشاعر والأحاسيس، وفيها العاطفة كما فيها الجوانب الفاعلة الأخرى، والكلمة الطيبة تعطي العامل/ الموظف الدفعة القوية إلى أن يعمل أكثر ويعطي من وقته أكثر وينتج أكثر، وكم كلمة طيبة كانت سبباً في نجاح عمل وعامل، وكم لفت نظر أو تنبيه كان سبباً في فشل عامل وعمل، وأظن أن هذه المشاعرة والأحاسيس بحاجة إلى من يرعاها ويراعيها قصداً إلى مصلحة العمل وسعياً وراء تحقيق الأهداف ليس إلا، إذ ليس المقصود تحول الإدارة إلى عيادة نفسية كما قد يتوهم أولئكم الذين يمارسون نظرية لفت النظر، ومن رعاية هذه المشاعر

ومراعاتها أن يقال لمن أحسن أحسنت، وأظن أن وقع خطاب الشكر أو لوحة موظف الشهر أو نحوها من جوانب الإشادة بالمحسنين تعدل عند الأغلبية أي حافز مادي، وإن اجتمع الأمران فنعم الاجتماع.

هذا ما يتعلق بالتنويه أثناء العمل، أما فكرة تكريم العامل بعد انتهائه من عمله الذي أنيط به بسبب التقاعد أو الاستقالة أو الانتقال إلى مرفق آخر فأظن أنه عمل إيجابي يدخل في قولنا للمحسن أحسنت فشكر الله لك، ونحن نشكرك على ما قمت به على قدر الجهد والصلاحيات التي مكنت منها، وهذا الموقف عند إنسان المشاعر والأحاسيس له وقعه غير اليسير، إذ إنه يمحو معاناة الفترة التي قضاها في العمل، وفي كل عمر معاناة، وأظن أن عملاً يخلو من معاناة لا يدخل في هذا المفهوم، بل ربما ذهب إلى حيز التسلية أو الترفيه أو قضاء الوقت.

وقد أكرمت الرياض رجلاً من رجالها كانت له جهوده الملموسة في النهضة الحضارية التي عاشتها الرياض طيلة عمله أميناً عاماً للمدينة، أكرمته الرياض ممثلة في الرجل الأول في العاصمة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز الذي يقف وراء هذا الإنجاز، وترى من يعملون معه يجدون أنفسهم في مواقف التفاني في الأداء والإنجاز، لأن الرجل لا يترك شيئاً يمكن أن يعوق العمل إلا ويعمل على تذليله.

ونحن نقول إن اليد الواحدة لا تصفق، فالمخلص في أدائه وأفكاره، وتطلعاته للمصلحة العامة بحاجة إلى مجموعة من المخلصين الذين ينقلون رغباته تطبيقاً على الواقع، وأجزم أن أمير الرياض قد وفق إلى من يحمل تطلعاته في النهضة بالمدينة القلب في أشخاص يقومون على مرافق المدينة، ولا أظن أن شخصاً سيتحدث على الرياض دون أن يذكر أمين مدينة الرياض عبد الله العلي النعيم الذي استحق التكريم من سمو أمير الرياض، بعد أن رغب في فسح المجال لغيره من المخلصين

فسلمها إلى أخيه الحبيب المهندس مساعد العنقري الذي يعرف الرياض، وكانت ـ ولا تزال ـ له بصماته على الرياض، فيصدق فيه قولنا المأثور في هذا المقام: إنه كان خير خلف لخير سلف.

وتتمثل الفكرة العامة التي جعلتها مدخلاً للحديث على الحدث، إذ التكريم لم يكن مقصوراً على السلف أبي علي عبد اللّه العلي النعيم، بل التكريم يأتي أيضاً للخلف المهندس مساعد العنقري. وكأني بالتكريم إشارة مباشرة إلى تجديد العهد بالدعم ومواصلة تذليل العقبات إن وجدت، وفي هذا حافز للأمين الشاب أن يستمر في العطاء ويواصل المسيرة، ويسهم في جعل الرياض المدينة العالمية التي تصر على أمرين متلازمين: الأول: حرصها على متابعة النهوض في جميع المجالات العمرانية والنظافة والصيانة والترتيب والتنظيم وشق الطرق وبناء الجسور والأنفاق، وتهيئة الجو العام لمدينة حديثة، والثاني: الإصرار على التمسك بالخلفية الثقافية التي قامت عليها المدينة واصرارها على التميز هذا من خلال طريقة التنفيذ وشكل المنفذ، بحيث لا تكون مدينة كبرى كأي مدينة كبرى، بل لتكون مدينة الرياض الكبرى التي تعكس خلفية رجالها وأهلها القاطنين فيها، بل ومن قطنوا فيها فبقيت فيها منهم الأجسام، وانتقلت الأرواح إلى بارئها، وأظن أن أهلها الأوائل ما كانوا يظنون أنها ستصل إلى ما وصلت إليه من هذه النهضة وهذا التوسع، وربما فضل بعضهم عدم رؤيتها على ما هي عليه لأنه لم يتصور أن تتعدى الرياض «دروازة الثميري» مثلاً رحمهم الله رحمة واسعة، فقد فرشوا لنا الأرضية وتركوا لنا أن نضع عليها ما نشاء.

وفكرة التكريم بعمومها فكرة جيدة فيها حفز للجدية والإبداع والابتكار والمبادرة، وهي خلق إسلامي نبيل راعى ويراعي، والبلاد تشهد نماذج من التكريم على مختلف الأصعدة، فهناك تكريم للمتفوقين من

الطلبة في أكثر من منطقة، ولعلها تعم الفكرة جميع المناطق، وهناك تكريم للعلماء من خلال جائزة الملك فيصل ـ رحمه الله ـ العالمية، وهناك تكريم للرجال الذين أسهموا في دحر الظلم والظالم من العسكريين، وهناك تكريم لمن وقفوا وقفة حازمة وجادة في الجبهة الداخلية أثناء النوازل التي حلت بنا، وهناك تكريم الرجال أمثال النعيم والعنقري لإسهاماتهم التي حصلت والتي ستحصل، وهناك تكريم للشباب الذين كانوا خير ممثل لبلادهم في مجالات الشباب، وهكذا يشمل التكريم قطاعات مختلفة من أبناء المجتمع.

وهناك رجال يستحقون التكريم كذلك، إلا أن موقعهم من الدولة قد يجعلهم يتحفظون على الفكرة. ولا أظن هذا إلا تواضعاً منهم، وهم معروفون بارزون في الصورة في أي مجال فيه تحقيق للأمن والرخاء والإنجاز في البلاد، ولعل المرء يقف على خبر تكريمهم في يوم من الأيام القريبة.

وهناك رجال يستحقون التكريم كذلك، إلا أن كونهم بعيدين عن الأضواء قد لا يتيح إعلان تكريمهم. والحرص هنا على وسائل الإعلام أن تتابع مناسبات تكريم هؤلاء العاملين في إداراتهم ومؤسساتهم فتخطر العامة بهذا التكريم، فإن لهم أثرهم الواضح في المسيرة التي تعيشها البلاد.

وهنا لا بد من التأكيد على هذه الطريقة في القول للمحسن أحسنت، على ألا تكون هذه الطريقة عبئاً يريد البعض الخلوص منها، فتكون ذات طابع آلي تصاغ فيه عبارات التكريم جوفاء من المعنى الصادق، وعليه فإن فكرة التكريم نفسها ينبغي أن تقتصر على من يستحق التكريم بسبب إسهاماته الواضحة في مجال عمله وخدمته للبلاد من خلال عمله، وتحقيقه لشيء من المصلحة العامة من خلال عمله، ولعل عدم

تكريم من لا يستحقون التكريم في مقام يكون فيه تكريم هو بحد ذاته «لفت نظر» لهم أنهم مقصرون في عملهم، مقصرون في تحقيق المصلحة العامة في مجال عملهم، هذا بالإضافة إلى الإجراءات الإدارية المتبعة التي يشعر الموظف من خلالها بالتقصير والرغبة في تحسين الأداء.

والحوافز على العموم تدخل في مفهوم عام يحقق المرء من خلاله مجموعة من الاحتياجات النفسية، والأمنية بالمفهوم العام للأمن، والحب بالمفهوم العام للحب والقبول في المجتمع، والشخصية بحيث يكون للمرء اعتبار في المجتمع وتحقيق الذات من خلال العمل المناسب، وهذه كلها تشكل نظرية «مازلو» في الحوافز، وهناك نظرية أخرى حول الاحتياجات منها ما تحدث عليه أبو حامد الغزالي من قبل، ولكها تنصب على التأكيد على أهمية الحوافز في تحسين الأداء، والتكريم نوع من أنواع الحوافز للمكرم ولمن يأتي بعده أو معه، وهو مدعاة أداء أفضل في المستقبل وإن جاء اعترافاً بأداء قد سبق.. هنيئاً للمكرمين، وكان اللّه في عون الجميع.

الجزيرة

لائحة النظام والاستثناءات

تعمد كثير من المؤسسات العامة والخاصة والمصالح وكثير من بيوت الخبرة اليوم إلى رسم خطط وسياسات وأنظمة تسير بموجبها، وتسير من خلالها أعمالها. ولوائح الأنظمة أصبحت اليوم من مستلزمات أي هيئة تريد أن تقدم شيئاً ما ولو قل. وعندما تراجع هيئة ما فلا بد أن «ترتطم» بهذه الكلمة بطريقة أو بأخرى. حتى أصبح البعض يعزو عدم مقدرته على صنع قرار حتمي سريع إلى أن النظام لا يسمح بذلك وإن كان أحياناً لا يدري تماماً ما إذا كان هذا النظام يسمح أو لا يسمح، بل ربما لا يدري ما إذا كان هناك نظام ليسمح أو لا يسمح.

وعندما يعين شخص جديد في وظيفة فيها المقدرة على صنع القرار واتخاذه، ينصح عادة بقراءة ودراسة لوائح الأنظمة وبنود صلاحياته فيها ليتصرف من خلالها ولا يحاول أن يتخذ قراراً خارج صلاحياته المخولة له. ولكن في الغالب تبقى هذه الصلاحيات محدودة جداً، فيتطلع هذا الموظف إلى صلاحيات أوسع وربما يستغل مواقف يكون فيها صاحب الصلاحيات الأوسع غير موجود على رأس العمل ليأخذ مكانه في اتخاذ القرار رغم أن المسؤولية في النهاية ستقع على الآخر وليست عليه. ولذلك يقول علماء الإدارة إن الصلاحيات يمكن تفويضها للآخرين،

ولكن المسؤوليات يتعذر تفويضها، لأن الدولة إنما تحاسب في النهاية ذا المسؤولية المباشرة، وهو بدوره يحاسب من فوضهم بصلاحيات تعين على القيام بهذه المسؤولية خير قيام في جهاز من أجهزة الدولة أو الهيئة أو الشركة لا يمكن أن يتحمل فيها شخص واحد كل المسؤوليات تحملاً مباشراً. ولأجل ذلك ولتيسير أفضل السبل للقيام بهذه الأعمال ظهر ما يمكن أن يسمى اليوم بلوائح الأنظمة. إذ يستطيع أن يريك الموظف المباشر فقرة واحدة في لائحة النظام تحول دون أن يلبي لك طلباً تسعى إلى تحقيقه وترى من ورائه منفعة شخصية ربما بتحقيقها لك تضر بآخرين كثيرين وتربك سير العمل بوجه عام.

وإزاء هذا الواقع يتعرض كثير من الموظفين لإحراجات كثيرة من قبل المراجعين الذين لا يرون الحكمة وراء عدم تحقيق رغباتهم، ويؤولون ذلك إلى سوء في الإدارة أو عدم الجرأة على اتخاذ القرار، أو لأسباب شخصية بحتة، والموظف يعلم علم اليقين أنه براء من ذلك كله وأنه أمام واقع يحتم عليه عدم إرضاء أشخاص على حساب آخرين، ويعلم كذلك أن هذه الأنظمة إنما قامت لتخدم الآخرين خدمة مباشرة ومنصفة بحيث تكون هذه الخدمات شاملة مستمرة غير مقصورة في تطبيقها على فئة دون أخرى، أو على زمن دون آخر.

ونحن نعلم علم اليقين أن هذه الأنظمة تخضع لاستثناءات يراد بها عدم حرفيتها وتطبيقها على أي حال، بل ربما كانت هناك حالات تستدعي إغفال بعض نقاط هذه الأنظمة، واتخاذ قرار سريع فيه، ولكن الحال دعت لذلك ولا مندوحة من مناقضة حرفية الأنظمة. والذي يراد الوصول إليه هنا هو معرفة من يمكن له أن يتخطى الأنظمة ومتى يمكن أن تتخطى هذه الأنظمة؟ سؤال عريض يحتاج إلى خبرات كبيرة وكثيرة لتضع نظماً تتخطى بموجبها النظم، وذلكم أمر لا شك عسير!!.. إذ الملاحظ

أن الرجل الأول في مصلحة ما قد يصدر قراراً يرى فيه المصلحة العامة فيفاجأ بالرد على هذا القرار من قبل «شؤون الموظفين» أو غيره من أقسام المصلحة بأن هذا القرار يخالف الفقرة (٢) من المادة (١٥) من نظام المصلحة، ويعتذر القسم للرجل الأول بعدم إمكانية الاستمرار في مجريات هذا القرار، فيقف الرجل الأول حيال هذا الرد مكتوف اليدين.

النظام والإدارة..

والذي يمكن أن يخرج به رجل الإدارة هو وضع فقرة في نهاية النظام أو مادة تنص على أنه «يجوز لمدير الإدارة أن يتخطى ما جاء في هذه اللائحة حسبما تقتضيه المصلحة العامة».. مع التحفظ على الصياغة هنا ـ وهذا أمر لا بد منه في الإدارة على أي حال، إذ إنه من المستبعد أن تلم إدارة ما بكل الظروف التي تمر بها أو ستمر بها مستقبلاً لتضع لها اللوائح التي تجيب على مثل الحالات الطارئة، فيترك لشخص أو شخصين حساسين في المصلحة حرية تخطي هذه الأنظمة فيما إذا برزت حالات تستدعي ذلك. وفي هذا الإجراء منفذ للوائح وأنظمة يكون تطبيقها في كل المجالات أمراً فيه شيء من البالغة في المثالية.

ولا تتوقف الحال عند الاستثناءات التي تتضمنها الأنظمة، بل تعمد كثير من المصالح إلى مراجعة لوائحها وأنظمتها بشكل دوري بعد فترة تكون فيها قد سجلت كثيراً من الملاحظات التي كونت عقبات في طريق تسيير العمل تسييراً يحقق أهدافه بموجب هذه اللوائح أو تلك، فتعمد إلى تنقيح النظام بالزيادة في مواده في حالات، وبالحذف منها في حالات أخرى، أو في حالات ثالثة تنقيح المادة ذاتها بحيث تتيح الفرصة للاختلاف في التفسير حسبما تقتضيه المصلحة، فيترك في بعض المواد ثغرات يفسرها على حسب الحال التي تواجهه، خاصة أنه يقوم بالدور

العملي في التطبيق بدلاً من مجرد التنظير، وكثيراً ما مرت علينا حالات اضطررنا فيها أحياناً ـ مع قصر تجربتنا ـ إلى أن ننظر إلى النظام نظرة تختلف عن النظرة التي نظرها إليه واضع النظام في الوقت الذي لم نخرج فيه عن هذا النظام، وما دامت «روح» النظام لم تمس فلا بأس من تخطي حرفيته للضرورات..

والمؤسف حقاً أن يواجه الشخص في موقف صعب عصيب بأن النظام يراه صاحب المصلحة على قدرة من تحقيق معاملته بالشكل الذي يرغبه لا بما يقرره النظام واللوائح، والبعض من الناس ربما عمد إلى هذه العبارة «النظام لا يسمح» وهو لا يعلم حقاً ما إذا كان النظام يسمح أم لا، وذلك لمجرد أنه لا يرى فائدة من الاستمرار في هذه المعاملة أو تلك فيعلق ذلك على النظام للتخلص السهل من هذا الشخص الثقيل عليه، ولا بد أن نعترف بأننا نواجه مثل هذه الحالات عند بعض الأشخاص وليس عند كل الأشخاص. وهنا تأتي الإدارة الحكيمة التي تعمد دائماً إلى نوع من التغيير الطفيف في المناصب الإدارية بحيث تبعث في إدارتها ومكاتبها جواً جديداً يقوم على دراسة الأنظمة واللوائح والاجتهاد في تفسيرها وتطبيقها وتسجيل ملاحظات أخرى عليها لم يلحظها الأولون، كما تبعث في الموظفين جواً من التجديد في نوعية الأداء، وكلنا ميالون إلى المتابعة في حياتنا العامة ومنها الوظيفية.

* * * والخلاصة هنا أننا نريد أن نصل إلى نقطة لا بد منها وهي أن النظام إنما وضع ليحقق جواً عملياً في سبيل وصول المصلحة إلى أهدافها التي رسمت لها في ما لا يتعارض مع المصلحة العامة بل يخدمها، وهذا لا يعني بحال من الأحوال أن هذه الأنظمة جامدة، بل لا بد في حالات خاصة من تخطي هذه اللوائح والأنظمة سواء باستثناء أو بدون استثناء، ويترك قرار التخطي هذا إلى أولئك الذين تقع عليهم

المسؤولية المباشرة من المديرين فيما يحدث من عقبات، وهم قد وصلوا إلى مرحلة تجعلهم يتحملون عقبات هذا التخطي. وفي هذه النظرة محاولة لإزالة فكرة تكاد تكون شائعة بين الناس تدور حول وقوف اللوائح حائلاً دون تحقيق الرغبات الشخصية في أحوال كثيرة، مما يجعل الشخصية في أحوال كثيرة مما يجعل البعض يتهم هذه اللوائح بأنها إنما وضعت لتقف سداً منيعاً في سبيل سير العمل سيراً فعالاً. وليست العبرة هنا بالرغبات الشخصية.

حالة واحدة فقط..

في سبيل التمثيل على تخطي اللوائح الإدارية في مواقف خاصة نذكر هذا الموقف الذي كان ضحيته نظام المرور: هاتف الرجل صاحبه الذي يملك سيارة وطلب إليه تجهيز السيارة الساعة الرابعة فجراً ليقله وزوجه الحامل إلى المستشفى، وصاحب السيارة يعرف موقع المستشفى، ولكنه لا يعرف كيف يصل إليه، والمرأة في حالة وضع. توجهوا جميعاً قاصدين المستشفى وتبين أن الزوج لا يعرف حتى الموقع. فما كان من صاحب السيارة إلا أن ذهب في اتجاه الموقع ضارباً عرض الحائط بأنظمة المرور التي تنص على أن هذا الشارع ذو اتجاه واحد فقط، والحمراء إشارة للوقوف، فلم ينظر إلى ذلك في سبيل أن تضع المرأة في المستشفى لا في السيارة!. لاحظ هذا التخبط رجل المرور فاتجه إليه في سيارته وأنار مصابيحها العلوية مشعراً إياه بالتوقف، ولكن صاحبنا أشار إلى رجل المرور بيده أن يسبقه ويفتح له الطريق، ففهم رجل المرور خاصة عندما حاذاه، فتقدمه وسار به ـ متخطياً إشارات التوقف ـ إلى المستشفى حتى أوقفه عند باب الطوارىء أو الإسعاف، واطمأن على دخول المرأة الحامل المستشفى، وفي سبيل أن يودع رجل المرور صاحب السيارة سأله عما إذا

كان يحتاج إلى خدمة أخرى! شكره صاحب السيارة شكراً جزيلاً، فانصرف ذاك وانتظر هذا خمس دقائق لينزل إليه البشير بأن صاحبه رزق بمولودة وأنها وأمها بخير وعافية. وتلكم كانت واقعة حصلت لم يكن للخيال فيها دور، ولكن الحاجة الإنسانية الماسة جعلته يتخطى إشارات المرور..

الجزيرة العدد ٥٠٤٢

السبت ١٢ ذي القعدة ١٤٠٦ هـ الموافق ١٩ يوليه ١٩٨٦ م

«الترف الحضاري»

معظم الدلائل تشير إلى أننا لسنا في فترة يمكن أن يقال فيها إنها فترة الترف الحضاري، ولكننا ربما تعمقنا فيما يمكن أن نسميه بالترف الذاتي الذي نتج عن الطفرة المادية التي شهدتها المنطقة في العقد الأخير من القرن الماضي «١٣٩٠». لقد تعمقنا في الاهتمام بالمظهر، لكن المخبر لا يزال يحتاج إلى وقت أطول وأوسع في التعمق. هذا لا يعني بأي حال من الأحوال أننا خلو من مقومات الحضارة الحقة. لكن الظاهر ـ على كل حال ـ هو الجانب الغالب، وهو جانب مؤقت ربما أبعدنا عن الحضارة، أو قل ربما أخر مسيرتنا نحو الحضارة والنمو. والذي يعود إلى خطط التنمية السابقة واللاحقة يدرك مدى التركيز على تحضير الفرد المواطن من خلال توفير أسباب الحضارة العميقة القائمة على قواعد أساسية صلبة ثابتة تأخذ من شرع اللّه منطلقاً لها. وهذا ما تسميه الخطط التنموية بالتجهيزات الأساسية.

والترف الذاتي الذي نعيشه ذو جوانب كثيرة مظهرية لا جوهرية تقوم على اللباس والبناء ووسيلة المواصلات ووسائل التكريم. فهناك من فرش رقعة صغيرة من بيته بمبلغ «٣٠٠,٠٠٠» ثلاثمائة ألف ريال للحمام فقط، ثم يعمد إلى تغيير هذا الأثاث بين فترة وأخرى غير بعيدة وربما لا

تصل إلى السنة الواحدة. وهناك من يعمد إلى تغيير السيارة لأن الابن أخذها وأعمل شقاوته فيها بحيث أتلفها، وإن تكن لا تزال تسير، بل إن كثيراً من الحقائق تشير إلى أن الآباء يتعمدون تغيير سيارات أبنائهم في فترات قريبة نظراً لأسلوب المعاملة التي تلقاه السيارة من الابن يسيء إلى هذا المجتمع بأكمله..

وهناك من يبالغ في عمارة المنزل كله بحيث ترى المنزل قطعة متحفية لكنها لا تمت إلى هذه البيئة بصلة من قريب أو بعيد، فأحجار الرخام تغطي جدران المنزل، وأسلوب «تفصيل» المنزل يوحي بشيء من المزاجية المعوجة عمداً إلى التميز عن المنازل الأخرى المجاورة، مع أن الاسمنت والرخام بهذه الصورة لا يمكن أن يناسب مناخ هذه البيئة مما يستدعي الإكثار من المكيفات الباردة والحارة والذي يجر بدوره إلى الترف في استهلاك الكهرباء مما حدا بالبعض إلى أن يسمي هذه الحضارة بالحضارة «الإسمنتية».

وجانب ثالث من جوانب الترف الذاتي ذلك المتمثل في الأسلوب الذي تقوم فيه ولائم الأعراس وحفلات تكريم الأقارب والأصدقاء. وقد وصلت هذه الفكرة إلى حد عجيب جعل من الكثيرين ممن يعيشون في مجتمعات يخيم عليها الجوع يصابون بالدهشة، بل إن أحدهم سقط على الأرض باكياً عندما رأى صندوقاً للزبالة مليئاً بالطعام، وآخر أصيب بشيء من الذهول عندما رأى صندوقاً آخر قد تربع عليه خروفان كاملان مطبوخان لم تمسهما يد إنسان مع وجود محاولات للحصول على الأطعمة وتوزيعها.

واللباس جانب آخر يبرز فكرة الترف الذاتي وهو بين النساء والرجال شائع على حد سواء، حيث تجد أصنافاً من المجوهرات

والأقمشة التي لا تترك للزمن يقضي عليها إما بنزول أسعارها في الأسواق أو بتركها تحرقها الحرارة وسوء التخزين.

هذه جوانب للترف الذاتي فيها دلالة على المظهرية التي يعيشها مجتمع هذه المنطقة. أما مقومات الحضارة الحقة فهي ما تحتاج إلى إعمال فكر ونزول إلى الأسواق حيث البناء والتشييد القائم على الاكتفاء الذاتي بالسواعد الوطنية العاملة التي تلبس القبعات الواقية وتتلقى تعليمها الفني والتقني في المعاهد والمؤسسات التي أنشئت لهذا الغرض، وإعمال الفكر يحتاج كذلك إلى طرق أبواب الكتاب وارتياد المكتبة سعياً وراء إيجاد حلول معينة قائمة على العملية والبحث في سبيل القضاء على مشكلات اجتماعية معينة تساهم المكتبة مساهمة فعالة في التغلب عليها. ولا شك أن المكتبة كانت ولا يزال لها دورها المؤثر في حضارات الأمم.

وأمر ثالث يمكن أن يساهم في التغلب على هذا الترف الذاتي يمكن من خلال التوعية المكثفة على مختلف المستويات من خلال إعطاء المواطن صورة واضحة لما يدور في العالم من حوله من نكبات وأضرار مادية وطبيعية تحول دون الاستمتاع بلذة الحياة، وتشعر المواطن بأنه عضو في هذا المجتمع الكبير وأنه ليس مستثنى من هذا إن لم يعط هذه النعمة حقها من الشكر العملي والقولي.

ولعل وسائل الإعلام خير من يقوم بها، فالتليفزيون يعرض صوراً حية للبؤس الذي تعيشه المجتمعات المجاورة، بدلاً من أن يعرض دلائل للترف الحضاري الذي وصلت إليه بعض المجتمعات وذلك مثل البرامج الترفيهية التي تبرز هذه الظاهرة بالذات على أنها إفرازات لهذا الترف.

والإذاعة من خلال الحديث والمقابلات والندوات، والصحافة من خلال المقالات والاستطلاعات والصور وما إلى ذلك. وإني أكاد أجزم

أن هذه الوسائل سيكون لها مردود إيجابي. وأوكد أخيراً على أننا لا نزال نملك مقومات الحضارة الحقة وكل ما نحتاجه هنا هو صقلها وتنميتها وجعلها بارزة للعيان. هذه المقومات إنما تقوم على نظام رباني للحياة يدعو إلى الحضارة والحكمة والعلم.

اليمامة العدد ٨٤٥

الأربعاء ٢٢ جمادي الآخرة ١٤٠٥ هـ